

### إشارات في المتغير العراقي

كك

بالرغم من الصعوبة المادية بوجه أمة معاوية تتطلع إلى قراءة الاتجاهات التي تبين على خريطة الواقع العراقي الجديد على الصعيد السياسي والاقتصادية والاجتماعية والثقافية أو استشراف مستقبلها، فإن بالإمكان تلمس بعض السبل الموضوعية لقراءة المسارات الحالية، وذلك بالدخول إلى تاريخية الصراع وفيه أبعاد حقيقية، وتحديد عبر تفكيك أبعاده لنظير من زاوية إمكانية واقفه ومركباته الأساسية، لكن حتى مع الصعوبات هذه بدأ لنا أن نحيط بالمشكلات الملموسة التي بدأت تطرح نفسها الآن بدورات متفاوتة في قضاء الحياة العراقية الراهنة بمختلف أوضاعها وظروفها، هي تلك التغيرات بتجديد طبيعة الخطاب الثقافي عامة في زمن المتغير السياسي الحالي الذي ترك تداعياته وأثاره على جوانب الحياة العراقية كافة.

د

# عن السؤال الثقافي والقراءة الواهمة

احمد ثامر جهاد

رغم - بصورتها - من دائرة العنف وترتيب الأمريكية للعلاقات، ناهيك عن محاولة تبديل النخب العربية العتيقة بأخرى جديدة تتماشى مع رياح العصر الأمريكي. على الأقل، هذا ما يكشفه مطلق الإدارة الأمريكية حالياً من على القنوات الإعلامية. ويمكن من مقتضيات هذا التوجه السياسي الأمريكي الجديد، الذي يتطور بعد أحداث سبتمبر، استحداث إجراءات عديدة على الصعيدين الاجتماعي والثقافي - بعد تطويع السياسي والاقتصادي - تهدف إلى تخفيف التوترات العنصرية والقومية موسسات لبر لفة على الطراز الغربي تؤمن نوعاً من الحياة التعددية والرفاهية النسبية، بوسعها الوضوح بوجه الأخطار الأصولية ولتزامت العنصرية أياً كان، وفي الحصلة لا مناص من التعامل معه بصفته توجهاً جدياً يظهر محدودية الخيارات الدستورية لنظمتنا السياسي والثقافي معاً، وحيث لم تشهد انتفاضة جماهيرية ولا بظلال ثورياً ساحراً كما لا مجال لآفات صور بطولية كهذه في مكان صخر موعود يدر من على شاشات حساسة، فليس ثمة ثقافة ثورية بالهنيء الذي تدخره الكتب الصغرى، ويطلب للعصف الوعائي لسببائه على مجرى الأحداث بشكل حشري ككاتب، فيما يقبض البعض يجاهد برغبوية نضمية على حشر تلك الصورة الثمينة عنوة، لتبسط العيان كأنها تيكور مختنق لآفة بلا ملامح، مثلاً يبدو الانتصار الكاذب للأصولية العتيقة كأنه معمارها الذي يتحجر دحازاً منياً ما قبيل استنباط الأوجه وتوجهات.

والشأن وغير السبوق). وقد يقتضي هذا العمل شيئاً من تأثير (الخميني أو بن لادن أو دنيايات السوفيتية) لم يكن فريداً في حضوره، وإن يتقوى على الاستمرار لوجوده في ميادين المخاضات والاتجاهات السياسية والثقافية الأخرى إلا في حدود التعمي الشخصي أو لاهم للأفراد والجماعات، فثمة صورة أخرى مهمة تسعى إلى أن تكون أقرب إلى التصديق لكشف لنا كيف يقف الجديد من لعجلات لبرامز صلباً، وأضاح، دالا أكثر من سسواه، بسبل كيف اصبح ذلك الاستعراض الخفيف للثورة مصدر الوقع السموح برويته وتصديقه والتفكير به. قد نشاءل هنا، ما هي قراءة التي يمكن الاتفاق حولها بشأن ما جرى ويجري؟ هل سورة حقيفة متفرقة يمكن تصديدها في عالم يومى دفع ليوتار إلى لثول أن حرب الخليج الثانية لم تقع أبداً؟ ربما كان نبؤته الفكر الوحيد الذي لا يرى هذا النوع من الجدل العنصر، هسلاً، إن امتلاك الحياة، مثله مثل امتلاك أي شئ آخر يؤدي إلى السأم والل ورعه الذي تقدمه لثول لا يتحصر الجوهر الفريد للعنصرية على معرفة العالم ونسبياً، لما يتعداه أحياناً إلى اختلاق دراية سلبية به.

**امتياز ثقافي**  
علينا ألا نتحدد ماهية المتغير السياسي العراقي الرهن وتوسيفه ليكون بالإمكان التعرف على تفاعلاته وتداعياته المحتملة على الساحة الثقافية، فمحدد هاتنا هذه. وقبل محاولة الإجابة عن (أول)، قد نشاءل هنا، لانا الحضنة الثقافية دون غيرها مجالاً لتأويلها للحدث العراقي بكاملاً جسماته؟ من أين تلتأى الثقة بممارسة نظرية قد لا تشمل متولاتها،



**كك**  
**إن واحدة من أسكاليات الوضع العربي اليوم هو التعامل مع الصحافة، الناطقة منها والمقروعة طرح الموضوع في اجتماعات رسمية وشعبية، وتداول الأشكالية مثقفون وفنانون ومفكرون وسياسيون، في جلساتهم الخاصة وكتاباتهم، وهذا دليل ملح على تفاهق تلك الأشكالية علماً إن الصحافة تعبير حلي على حراك الذهن العربي عامة وتوجهاته وبرز مبوله وأفاقه في مقاربة الحياة أصبحت حرية الصحافة ضرورة ملحة في الواقع العربي يحتاجها ذلك الواقع لأجل كشف العيوب والثغرات وإضاءة مناطق الضعف في مناحي الحياة كافة، سواء منها السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية**

# صحافة مروضة لمواطن مقموع

كك

ولو تطلعا إلى عالم الصحافة اليوم، بأغلب تلاويها، حكومية أو خاصة، لرأينا تفلها عموماً على كثير من التوثيق، لعل أولها تعقيب لعلومه التي لا تتفق مع ذهنية العربية السائدة للكرسة عبر تخلف طويل، أو لا تصب في مجرى السياسات للدولة حول ما يحدث في العالم. يجري ذلك التعقيب عن طريق الحجب أو الضم لاساس للعلوم أو خلطها بشكل يخدم توجهات الوقع السائد، عد العنصرية طرازات الوقع بالغة الانسانية والتهويل الإعلامية، ثم شاعة ثقافة السكوت عنه، في الجنس والدين والسياسة، وتناج لغة معصية ذات بعد واحد. هناك أيضاً عدم الرغبة في التثقيب في استخدام العابر والمصطلحات، وهذا مرد اختفاء النقد من حياة الصحفية، الذي يتيح مجالاً واسعاً للانتقاد خفياً وكثيباً والفتكاد وحضها أو مقارعتها بوجه أمضى مما يجعل الكاتب يرتد عن الكتابة لاجنبية أو غير لثوية. ومن بر لفة للعلمة أو خلطها بشكل الاقتصادي للكلمات والتكثيف واللغة بعد أن ظلت على مكنا لنقد لقرن طويلة. لتقارعة النقدية تلخص لغة الكتابة بسواه السياسية والفكرية أو الأدبية، من فوضها وفشتيتها وتلفاتها، وتأخذ الكتابة الصحفية إلى ضفة الجبنة والسؤولية والنكاه.

والصحافة العربية، على العموم، لا تسائل ما يطرح من آراء، سياسية بالذات، إذ إن حجب الرأي للعرض عرف سائد، لا يتبع إلا لصوت الحكومات من الظهور، أو التثقيب، خاصة الذين يهرون في فلاكها، وهذا ما يضيء التزوير والقمع للعربي على ما ينشر، ويخل صوت القارئ للوطن محجوباً فلا يسبح. وهذا ما نلاحظه في مجمل البلدان العربية، التي هشت فيها للوطن إلى درجة إنه لم يعد يقرر أي شئ في حياته، ولا يتدخل فيها بدون من حوله، ما أسكلك دقعا وسعاً لحت مفهوم التغيير بالثورة، فشيح تنامي للصحافة، وبنية وسياسية، والتسارع العنفي للجمعات، إن كان ذلك عن صافر ديباً، أو جامعياً بصركات سياسية استرفط السلاح طرقياً لاصمغ رها، وغيار استرفط الحقبتي من ساحة الصحافة بوقها في شرك التابعية للمؤسسات والقوى السياسية للثورة، ففي كثير من الأحيان يتم استخدام الكوادر الصحفية نتيجة للحكوسيات والتواطؤ، لا للكفاءة المطلوبة في البية الحكومية، وبن اوبويتا سعة الاتفاق الفكري والذرة والشجاعة في قول الرأي، والاستفالية ومو كبة التطورات العالمية في هذا المجال، فعادة ما تولى الصحف الخصة من قبل شخص لا يمتون بصلة إلى حصول الثقافة والفكر، بسبل تحذر وامن عالمة التجارة أو المصانعة، وكان سلاك منير صحنائي أو ثنائياً بشكل بريستليجا اجتماعياً لإدامة السيطرة الاقتصادية، كما إن ارتكاز بعض تلك الشاير على التمويل الاعلاني بوقها في بر ثن الشركات لضاربة بالأعانات أو الشركات للنتيجة أو من يقف وراءها من سياسيين وسناعيين ومع وقع حكومية.

وهذا لا يختلف كثير عن الصحافة المصادرة كوميوا، التي بالضرور وتنتقل باسم الحكومات ولا يمكن لها أن تحتفظ باستقلالية الرأي أو بحرية الكتابة والنقد، وهكذا رأينا تحيلات سياسية أو تعليمية حول طهر مستكبات لتبيل في صانع هذا الحكومة أو تلك، هذا الحزب أو ذلك، وأحياناً حتى في مجرى سياسات عالمية متحيزة معروفة في تضارب مصالحها مع مصالح البلدان العربية. في هذه الحالة، فإن يتجه

والثورتايتارية، إن رفعة ذلك لحضر اليومي ينبغي هو بسائد وتشيد ميكائز مات روحية على مس صحرية.

ينبغي قبل الحديث عن الغزو، الحديث عن ثقافتنا التي نهلها ونعلن أحياناً عجزها، مع أنها من أكثر الثقافات حيوية وقبوساً للتجدد والتحديث. فالثقافة، بعد ثورة الاتصالات، صبحت من الوسائل الأساسية التي تعتمد عليها عملية تطور الشعوب وتطورها والحفاظ على شخصيتها الوطنية وهويتها وذايتها وخصوصيتها. ومن حق ثقافتنا ولصحفنا تعتمنا بالصحف الثقافية كعنايتها بالصحف السياسية، للتسلح السلمة بالتأسيس للثقافة متطورة ومعاصرة وذات بعد لساني شامل. إن الصحافة الثقافية تؤثر، دون شك، على الفكر اليومي للناس، وتلعب دوراً أساسياً في تقديم الكتب والفكر إلى المجتمع، وتفتح قنوات تواصل بين طفرين، ما يعني للثقافة والمجتمع معاً.

وهناك صورة محدودة عن الثقافة، حيث تصور بسائتها تعني الأدب والفن، أما الموضوعات النظرية والسياسية والفكرية فتأمر أن تكون في بساب النخص، وهذا ربما ينسب لنفسنا لتاريخي للصحافة، فهي بداية الصحافة العربية لم يكن ثمة فرق بين الأدب والصحافة، بل كانت الصحافة بيد الأدباء الذين يكتبون على الصفحات السياسية والاجتماعية والدراسات الأدبية. هكذا فصلت الصحافة عن الأدب بشكل ما، كما كتبت الأدب، بعد مرورها بالتجارب الصحفية، لسواها مرنا أرحه من قولها بالثقافة والآخر ثقافياً للثقافة معجباً لكثير قدر من القراء، فمن خلال الصحافة الأدبية، دخلت رياح التجديد والحداثة، بسطة، إلى عالم العربي.

ونظر التعقيد الوقع الذي يجب أن تكتب عنه الصحافة، صار وجود صحافة متخصصة تعنى بكل جانب الوقع ضرورة لتلبية الحاجات للثورة مع التطور البشري. وبسبب قدرة الصحافة على تحقيق غايات الأدب عموماً، أصبحت وسيلة لاغنى عنها للشراء، كما بعدت عن الذقبة وعن أبراحه عاجية.

لم تعد الجلات والصحف مجرد وعاء لتجميع لادة الثقافية والسياسية، لكنها صارت ساحات للحوار وإثارة تساؤلات ونقشات للذرة في المجتمع، وفي العقود الأخرى، تميزت الصحافة لجادة للسؤلة، وهي بعدد الأصابع على عية حال، بقدرتها على طرح معارير نقاشية وإثارة للذاعات الفكرية والأدبية والتعريف بالنتاج الثقافي، كما مسحت العباس عن الفز وتظهرت حقيقته ومكر حسته.

بالمفهوم المعاصر، ولقاسمات التواصل مع التجارب والتعبير عن المشاهة في تشكيل الثقافة الأدبية والفكرية، وتوسيع لحدوثها في الإخراق الثقافي، وأجانباً، الغزو الثقافي، مصحوباً بإدانة الآخر الذي يريد أن يغزو ثقافتنا وحضارتنا، ونصراً أساسية لهذا الإخراق شرط داخلي أيضاً، ولتكننا ننحصر حديثنا في مخاطر الغزو الثقافي الخارجي، وتنسى العمل على تطوير ثقافتنا وحضارتنا، والتأكد من أن الثقافة العراقية لا تتعرض للغزو الثقافي، بل تكون ذاتاً للثقافة الأخرى، سواء كتبت غاربية أو لا، وبالتالي المشاركة عن جدارة في بناء ثقافة عالمية نظافية تتناسب مع التطور الحلاق للبشرية، ثقافة تقاوم العنصرية ولهيمنة التي تقدم الاحسنتات وتقتل

فالدن، بسعاليمه للثورة وتفسيرات نوصوه واجتهاده، حقل مسكوت عنه، آخر، فلما يخوض فيه أحد، إذ إن العقوبة معروفة، وهي التبيد والتشهير، وفي بعض الأحيان القتل. وهذه الأشكاليات أخذت بعداً خطراً في الكتابة العربية الحديثة، أدت في كثير من الأحيان إلى محاكمات فكرية لأبناء أحرار كنبوا وفكروا وروا زهين، مثل طه حسين وحسين عبيد الرزاق ومحمد شكري وحيدر حيدر وصالح جلال العظم ونصر حامد أبو زيد وغيرهم، حتى نحسب التبع كان للفكرين الإسلاميين في العهود الماضية كانوا أكثر حصرية في طرح أفكارهم وتقسيم الحذف، ومعروف أن البعض من مائة مادة للكتابة ومناقيتها في الآن ذاته، يعبر عن نفسه بشكل عبق عن طريق الحور الرحي الببت والظهير والشارع، خاصة إذا كان القضاء لحكائي مقتوحاً على لوهه الحلق. ومن هذا الوقع، يتخلق الكاتب في تلمس ما يجري في الحاضر. وبعكاس ذلك الحاضر في اللغة له شروحه الأساسية ومنها حرية القول، ضمن ثلاث ما هو مسكوت عنه، والحقول تلك هي ما يتعبها الحذف والتزويه والتسحب لغوياً. وبسائلتا تأتي الكتابة الصحفية مفرغة من مضامينها الإنسانية العريقة، إذا ما اعتبرنا إن الإنسان العربي يتنفس الإنسانية في كل ثنية، ويختلط لديه الفلسفس بسالذني، فيسفل لجنس الآخر، يقصد منه وحكايته وأفراحه، جزء كبيراً من وقته، وهي حالة طبيعية يعيها معظم بني البشر. لكن ما هو غير طبيعي هنا هو تظهير الإنسان في اللغة في تعبيره إلى لغة لا تحمل مفردات وقع يومي يعيشه بسعق. إن للبشرية والفجاجة والنزق الجاني في توصيف الجسد أو الوقع غير مرغوبة وغير محببة في الصحافة ولا تلذخ ضمن ضرورت غير القول والتعبير، وكذلك الفجاجة السياسية والشارفة في السب والشتم أو الأدفة، فثمة الاستعداد عن لغة تليق بالثقافة والحليل واستنتاج وتقسيم الرأي الآخر. لكن، ومن دون شك، ليس كل من يكتب بحرية يسقط في فخ الدائرية أو تسمة الأشياء كما هي، إذ إن أسكاليات عتيقة يمكن تشاؤها بأسماء وسعة أفق وحرية، دون أن تشكل حالة ذماعة للغة. فغنى اللغة المكتوبة يأتي من غنى الوقع وحرية تناوله عبر أوجهه المتعددة، ويأتي الغنى أيضاً من تصعيد الوقع وتحويله إلى لغة عبر عملية فنية، سواء في الفن أو الشعر أو الرسم أو التحليل السياسي، وعبر رصد الفعلة الحاضرة لتي ولدتها ثورة لحدثاً وردت فعل للجمع عليها وحولات الائمة إلى عالم أوسع يتعدى هذا البسلاؤ ذلك، واللغة العربية من هذا الجانب لم تعد لغة بضعه جارية في كل يوم، وتعتبر بها مجموعة من الناس، إما أصبحت على مكنا للتفاعل مع الآخر، وبشكل يومي تقريبياً، لا على الصعيد الثقافي فقط بل العلمي والسياسي والاقتصادي، وهم جرد ذلك الاحسنتات يحمل وحدة داخلية أيضاً، ولتكننا ننحصر حديثنا في مخاطر الغزو الثقافي الخارجي، وتنسى العمل على تطوير ثقافتنا وحضارتنا، والتأكد من أن الثقافة العراقية لا تتعرض للغزو الثقافي، بل تكون ذاتاً للثقافة الأخرى، سواء كتبت غاربية أو لا، وبالتالي المشاركة عن جدارة في بناء ثقافة عالمية نظافية تتناسب مع التطور الحلاق للبشرية، ثقافة تقاوم العنصرية ولهيمنة التي تقدم الاحسنتات وتقتل